

الفصل السادس

بحث حول « نعش المرأة المرتفع سقفه »

السؤال :

هل ورد عن النبي ﷺ أنه أمر بأن تكون جنازة المرأة مرتفع سقفا عندما ماتت إحدى بناته؟ ومن هي هذه البنت؟ ومن روى الحديث الذي قيل فيه أن النبي ﷺ أمر بذلك؟، وهل هو صحيح؟. (١)

الجواب :

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

لقد اطلعت على بضعة عشر مرجعاً من كتب الحديث والتراجم والتاريخ ، ولا سيما كتب الأوائل أو الأوليات ، فوجدتُ بعض المؤلفات تطلق على « النعش » الذي عليه شيء مرتفع كالقبة المستطيلة كلمة « النعش » فقط ، كما في « خلاصة تهذيب الكمال » ، و« عنوان النجابة » و« أوائل العسكري » ، و« شفاء الأمير حسين » ، و« مجموع زيد بن علي » ، و« مسامرة الأوائل » وبعضها يقول في التعبير عن ذلك بـ « رفع النعش » أو بـ « النعش المرتفع » ، كما في كتاب « الأوائل » للجراعي ، و« الطبقات » لابن سعد ، كما عرفتُ من هذه المصادر أن السبب الذي من أجله صنعت هذه القبة هي ستر حجم المرأة الميتة بحيث لا يرى الناس حجمها .

وهكذا عرفتُ أن أشهر الأقوال هو القول بأن التي أمرت بصنع ذلك هي السيدة أسماء بنت عميس الصحابية المشهورة التي كانت زوجة لجعفر بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهاجرت معه إلى الحبشة ورجعت معه ، وبعد استشهادها في غزوة مؤتة في السنة السابعة تزوجت بعده أبا بكر رضي الله عنه ولما توفي أبو بكر رضي الله عنه تزوجت الإمام علي بن أبي

(١) السائلة حفصة بنت أحمد أحمد من صنعاء .

طالب رحمه الله ، ولكن اختلفت الروايات في أول امرأة عملت لها أسماء هذه القبة ، والرواية المشهورة هي أنها - أي أسماء - عملت أو أمرت بعمل هذه القبة على النعش للسيدة فاطمة الزهراء رحمها الله التي توفيت بعد موت رسول الله صلى الله عليه وسلم بستة شهور أو بأقل من ستة شهور .

وهنا رواية تقول أن أول من عمل على نعشها شبه الأضلاع أو قبة هي أم المؤمنين زينب بنت جحش رحمها الله ، وقد تأخر موتها إلى أيام الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بعد موت السيدة فاطمة رحمها الله بعدة أعوام ، كما في « خلاصة تهذيب الكمال » ، و « الوسائل » للسيوطي ، و « الطبقات » لابن سعد ، و « محاضرات الأوائل » للشيخ علاء الدين دده ، أحد علماء تركيا في القرن الحادي عشر من الهجرة النبوية على صاحبها وآله أفضل الصلاة والسلام .

بل إن هناك رواية غريبة ، وهي أن أول من عمل لها هذه القبة هي أم كلثوم بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي توفيت في السنة التاسعة من الهجرة في عصر النبي صلى الله عليه وسلم كما في « مسامرة الأوائل » للسيوطي ، نقلاً عن ابن سعد في « الطبقات » .

بل هناك رواية أغرب منها ، وهي : أن أول من عمل لها هذه القبة هي رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم التي توفيت في رمضان من السنة الثانية من الهجرة ، كما في تخريج الضمدي لـ « شفاء الأمير الحسين بن محمد » منسوباً إلى الطبراني في « الأوسط » ، وأن أسماء خاطبت النبي صلى الله عليه وسلم : « أني كنت بالحبشة - وهم نصارى أهل كتاب - وهم يجعلون للمرأة نعشاً فوقه أضلاع يكرهون أن يوصف شيء من خلقها ، أفلا أجعل لابنتك نعشاً - أي على هذه الصفة - ؟ فقال : « اجعليه » فهو أول نعش في الإسلام ، وذلك لرقية ابنة النبي صلى الله عليه وسلم كما في « مسامرة الأوائل » للسيوطي ، ونقله الضمدي في « تخريج شفاء الأمير الحسين » عن الطبراني في « معجمه الأوسط » من حديث أسماء بنت عميس رضي الله عنها .

ويمكن الجمع بين رواية من روى أن من عمل لها هذا النعش المرتفع (أو :

الذي عليه سترة مرفوعة على أعواد) من النساء هي فاطمة الزهراء عليها السلام ، وبعدها زينب أم المؤمنين عليها السلام كما في « عنوان النجاة في من مات بالمدينة المنورة من الصحابة » للشيخ مصطفى العلوي الرافعي حيث قال : « أول من غُطيَ نعشها في الإسلام - فاطمة - ثم بعدها - زينب - عليها السلام » .

ومنهم من يقول أن أول من أمرت بوضع هذا النعش المرتفع الذي يعملُه الناس على سرير المرأة عند حملها إلى المقبرة ، هي أم أيمن عليها السلام عند قدومها من الحبشة ، وليست أسماء ، وهي رواية شاذة ذكرها السيوطي - رحمه الله - في « مسامرة الأوائل » عن طارق بن شهاب - رحمه الله - .

وعلى كل حال ، فهذه الكيفية التي تُعمل على نعش المرأة ، هي قديمة في الإسلام يرجع تاريخها إلى عصر الخلفاء الراشدين ، سواءً كانت المشيرة بها هي أسماء بنت عميس أو أم أيمن عليها السلام أو غيرهما .

وسواءً كانت فاطمة الزهراء عليها السلام هي أول من عمل لها هذا النعش المرفوع سقفه ، أم هي زينب بنت جحش أم المؤمنين عليها السلام ، وأما إنها عملت لأم كلثوم بنت النبي ﷺ التي توفيت في السنة التاسعة ، أو لرقية بنت النبي ﷺ التي كانت قد توفيت في رمضان من السنة الثانية ، وأن النبي ﷺ أقر أسماء بنت عميس أو أمرها بذلك العمل بعدما أشارت عليه به ، فيحتاج الباحث إلى تصحيح الروایتين ، ولا أظن هاتين الروایتين صحيحتين .

ولو فرضنا أنهما صحيحتان ، لكانت هذه الكيفية من السنة النبوية ؛ لأنها ستكون من قسم أقوال النبي ﷺ حيث أمرها بذلك العمل بقوله : « اجعليه » في الحديث الذي حكى هذا الفعل عن أسماء عليها السلام عند موت رقية عليها السلام أو من قسم التقرير ، كما في الحديث الذي حكى هذا الفعل عن أسماء عليها السلام في موت أم كلثوم عليها السلام ، ولكن هيهات أن يصح هذان الحديثان ، ولا سيما الحديث الذي حكى فيه أسماء عليها السلام أنها عملته عند موت رقية عليها السلام ، فهو لا يصح من الناحية التاريخية قبل

الناحية الحديثية ، وذلك لكون أسماء بنت عميس رضي الله عنها عند موت رقية في رمضان من السنة الثانية من الهجرة ، كانت في أرض الحبشة ، حيث كانت قد هاجرت مع زوجها جعفر بن أبي طالب قبل الهجرة إلى المدينة المنورة بعدة أعوام ، كما لا يخفى على من له اطلاع على كتب السير والتاريخ .

وأيضاً لم يكن النبي ﷺ عند موت ابنته رقية رضي الله عنها ودفنها في المدينة موجوداً في المدينة ، بل كان ﷺ يومئذ في بدر الكبرى ، وقد كان وصول رسول الله ﷺ المدينة مبشراً بانتصار النبي والمسلمين على كفار قريش عقيب دفن عثمان رضي الله عنه ومن حضر معه عثمان زوجته رقية رضي الله عنها في مقبرة البقيع .

أي أن حديث أمر النبي أسماء بنت عميس بأن تعمل على جنازة ابنته رقية نعشاً مُسنماً حسب رأيها ستراً لها من أن يظهر حجم جسدها لا يصح لأمرين :

الأول : أن أسماء بنت عميس رضي الله عنها كانت في تاريخ موت رقية رضي الله عنها في بلاد الحبشة ، وموت رقية رضي الله عنها كان في المدينة سنة اثنين من الهجرة .

الثاني : هو أن النبي ﷺ لم يكن حال وفاة رقية رضي الله عنها في المدينة ، بل كان في بدر ؛ لأنها ماتت وهو غائب عنها في بدر ، ودفنت قبل رجوعه من بدر .

والخلاصة لما جاء في كلامي هذا ينحصر فيما يلي :

[١] القبة المستطيلة التي توضع فوق جنازة المرأة تُسمى النعش المرتفع .

[٢] أول من أمر بصنع هذه القبة على القول المشهور أسماء بنت عميس ، وقيل إنها أم أيمن رضي الله عن الجميع .

[٣] كانت أول امرأة حملت على نعش هي فاطمة الزهراء على القول المشهور ، وقيل إنها زينب بنت جحش أم المؤمنين رضي الله عن الجميع .

[٤] قد أحسن من جمع بين القولين ، فقال : إن أول من حملت على هذا النعش فاطمة أيام أبي بكر ، ثم زينب أيام عمر رضي الله عنهما أجمعين .

[٥] ما روي أن أول من حملت على مثل هذا النعش المرتفع سقفه هي أم كلثوم بنت النبي ﷺ يحتاج إلى تصحيح روايته .

[٦] ما روي أن أول من حملت عليه هي رقية بنت النبي ﷺ غير صحيح ؛ لكون أسماء كانت في الحبشة يوم موت رقية ، ولكون النبي كان في بدر لا في المدينة .

والله وليُّ الهداية والتوفيق ، وسبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم .

من المصادر التي استفدت منها في هذا البحث :

« مجموع زيد بن علي » ، « شفاء الأمير الحسين » ، « تخريج الضمدي أحاديث الشفاء » ، « عنوان النجاة » للرافعي ، « خلاصة تهذيب الكمال » لابن حجر ، « الأوائل » للعسكري ، « مسامرة الأوائل » للسيوطي ، « محاضرة الأوائل » للشيخ عثمان علاء الدين ، « الأوائل » للطبراني ، « الأوائل » للجراعي ، « الروض النضير » للسياعي ، « إنسان العيون » للحلي ، « الطبقات » لابن سعد .

